Türkiyo Diyanet
Kütüphanesi
Araştırmaları Merkezi

أصول العقيدة
بين
المعتزلة والشيعة الإمامية

دكتورة
عائشة يوسف المناعي
مدرس بكلية الشريعة جامعة قطر

رسالة دكتوراه
نوقشت بتاريخ ٢٠ اكتوبر سنة (١٩٩٠)
ونالت درجة مرتبة الشرف الأولى
من جامعة الأزهر

الدوحة
دار الثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾

صدق الله العظيم

سورة النساء

آية ١١٣

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الثقافة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

قسم الكتاب

تلفون { مبيعات : ٤١٣٤٧١ إدارة : ٤١٣١٨٠ فاكس : ٤١٨١٢٠
تلكس (٤٣٥٤) برقياً : سالم - ص. ب (٣٠٣٢٩)

سجل تجاري (١٦٩٦)

الدوحة - قطر

شُكْرٌ وَتَقْدِير

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان بالجميل إلى أستاذي الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق عميد كلية أصول الدين سابقاً وعضو مجمع البحوث الإسلامية ، والأستاذ بجامعة قطر حالياً ، على ما شمل به هذا البحث من رعاية علمية دقيقة ، واهتمام بالغ بما تضمنته من مباحث سواء في جانب المعلومات أو جانب الأسلوب ، وهذا البحث مدين لسيادته منذ أن كان أطروحة لم تتميز ـ بعد ـ ملامحها ولا قسماتها ، وإلى أن اكتمل في هذه الصورة التي أقدمها . وان صاحبه هذا البحث لتسأل اللّه أن يجزي عنها أستاذها خير الجزاء وأفضله على ما قدمه من رعاية علمية لا حدود لها.

كما أشكر الأستاذة الدكتورة آمنة نصير عميدة كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية ، على تفضلها بالإشراف على هذا البحث ، وإبداء الملاحظات العلمية التي أفدت منها كثيراً .

كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذنا الأستاذ الدكتور / سيد عبد التواب أستاذ العقيدة والفلسفة بالكلية ، الذي كان له الفضل في تشجيعي على اختيار هذا الموضوع وسيرى فيه قدماً إلى الأمام .

وأتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومي العميد السابق لكلية الدراسات الإسلامية ـ بنين الأزهر ـ وأستاذ الفلسفة بها على تفضله بالمشاركة في مناقشة هذه الرسالة .

وأخص بالذكر في شكري أستاذي الكريم الأستاذ الدكتور أحمد محمد الطيب عميد كلية الدراسات الإسلامية بقنا ، وأستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة الذي كان لي خير مُعين بعلمه وخلقه وفضله ، وقد أفدت منه الكثير الكثير في مجال فهم النصوص القديمة في فكر المعتزلة والشيعة الإمامية على السواء ، فلفضيلته مني جزيل الشكر والتقدير والعرفان بالجميل .

كما أتقدم بالشكر إلى كل من تفضل بمساعدتي في إنجاز هذا العمل وخصوصاً الشيخ الدكتور طالب الرفاعي الحسيني وأسرته الكريمة التي فتحت ليّ أبواب مكتبتها العامرة بالمصادر والمراجع القيمة المتخصصة في فكر الشيعة الإمامية .

وأخيراً لا يسعني إلا أن أتوجه بأعمق مشاعر الشكر إلى والدتي الكريمة التي تحملت من عناء اغترابي عنها ما لا تكاد تطيقه في سبيل إتمام دراستي العليا في مصر الشقيقة ، أسأل اللّه أن يجزيها خيراً ويحفظها ويرعاها .

عائشة المناعي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم(١)

بقلم الأستاذ الدكتور عبد الجواد فلاتوري
مدير الأكاديمية الإسلامية العلمية
وأستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة كولن بألمانيا

يتجه العالم الإسلامي اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى الاغتراف من تراثه الحضاري والعلمي والديني . وهذا أمر يتطلب من الباحثين ضرورة التغلب على الأحكام السابقة التقليدية التي عمقت وتعمق باستمرار الكثير من الانقسامات الجديدة والمتوارثة بين طوائف الأمة .

ولقد كان من بين أهم الظواهر الحضارية في التراث الإسلامي ذلك الاتجاه العقلي الذي أطلق عليه فيما بعد اسم الاعتزال أو المعتزلة . ويدور الأمر هنا حول جماعة من مفكري المسلمين (من العرب والموالي) ممن تفهموا مشكلة العصر حينذاك ، وتوفروا على حلها بطريقة اتسمت في بعض جوانبها بالشدة . فبعد وفاة النبي ﷺ وانتشار الإسلام في مناطق الحضارات القديمة الفارسية والبيزنطية واجهت الإسلام والمسلمين سلسلة من القضايا والمسائل الجديدة التي كان بعضها ناشئاً عن الظروف والملابسات الجديدة ، وكان بعضها الآخر موجهاً عن عمد ضد القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية .

وقد كانت مواجهة ذلك كله بالاعتماد فقط على القرآن الكريم والسنة النبوية

---

(١) لقد تفضل الأستاذ الدكتور فلاتوري بكتابة هذا التقديم باللغة الألمانية ، وقد نقله إلى العربية الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق . والباحثة تتوجه إليهما بخالص الشكر وعظيم التقدير ، وتسأل اللّه أن يجزيهما خير الجزاء .

يعني تقديم إجابة من منطلق اعتقادي محض ، وهذا وحده لم يكن كافياً لإقناع مسلم جديد أو إقناع الجبهات المعارضة المناوئة للإسلام . وإذا لم يكن هناك لدى المسلم طريق مقنع للإجابة عن هذه القضايا العقدية والفكرية الجديدة فإن ذلك كان يعني أن الإسلام بوصفة اتجاهاً عقلياً وروحياً جديداً لا يقوى على الوقوف أمام هذه الحضارات التي كانت قائمة حينذاك .

وعلى الرغم من أن العرب المسلمين قد استطاعوا بسط سيطرتهم على هذه الشعوب من أبناء الحضارات القديمة فإن الطريق الوحيد الممكن حينذاك لمواجهة المشكلات العقدية والفكرية الجديدة كان يتمثل في طريق البراهين العقلية المقنعة التي تستطيع أن تزيل الشبهات وتبدد الاعتراضات من طريق الإسلام والمسلمين .

ومن هنا وجدنا الكثيرين من علماء المسلمين في ذلك العصر يعتمدون في حل المشكلات العقدية والفكرية الجديدة على مبادىء عقلية . وهم في ذلك لم يكونوا أبداً بعيدين عن القرآن الكريم الذي دعا الإنسان أكثر من أي كتاب سماوي آخر إلى ضرورة استخدام العقل ، وحثه على النظر والتفكير والتأمل والفهم والإدراك .

ومن المؤكد أن المرء لا يمكن أن يتفق مع المدرسة الاعتزالية في كل النتائج التي توصلت إليها . ولكن هذا ليس هو الأمر المهم اليوم . فالأمر يدور بصفة أساسية حول المبدأ . وقد كان المبدأ يتمثل في الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية عن طريق العقل .

والعالم الإسلامي يجد نفسه اليوم في موقف مماثل للموقف الذي طرأ بعد وفاة الرسول ﷺ وانتشار الإسلام ، حيث يجد العالم الإسلامي نفسه منذ زمن طويل في مواجهة حضارة كبيرة جديدة تواجه المسلمين باستمرار بقضايا ومسائل جديدة . وفضلاً عن ذلك فإن الكثيرين من أبناء المسلمين المتأثرين بالاتجاهات الفكرية في الحضارة الحديثة لا يكفون أيضاً عن توجيه العديد من الأسئلة الجديدة لأنفسهم وللتعاليم الإسلامية . والطريق العملي الوحيد لمواجهة ذلك كله هو ذلك الطريق الذي يمكن أن يقنع غير المسلم أيضاً بمنطق الموقف الإسلامي . وليس الإقناع المقصود هنا بمعنى التحويل العقدي بل الإقناع بالمعنى العقلاني .

وإذا تأمل المرء تطور عالم الحياة العقلية الإسلامية في القرن الماضي فإنه يتبين أنه منذ نهاية القرن التاسع عشر اتجه المصلحون في الأساس إلى ارتياد هذا الطريق

القديم . وهذا ما نجده لدى كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وغيرهم . ولكن هذا لا يعني أن هذه الشخصيات كانت مقلدة للمعتزلة ، بل يعني بالأحرى أن طريق الخلاص يكمن في طبيعة الإسلام ذاته ، وهو الطريق العقلي الذي يجد جذوره في الإسلام ، والذي ينبغي على المسلم أن يعتمد عليه من أجل المصلحة الإسلامية .

وإذا نظرنا في أدبيات العقود الأخيرة فإننا نتبين بشيء من البهجة أن العلماء المصريين كانت لهم الريادة في هذه الحركة ، وذلك من خلال اتجاهين :

أولاً : من خلال نشرهم ـ دون أحكام سابقة ـ لنصوص هذه المدرسة الاعتزالية الكبيرة نشرات نقدية . وبذلك وفروا للعلم الإسلامي الطريق إليها .

ثانياً : من خلال الاهتمام بهذه النصوص بدأ عدد من العلماء المصريين ـ بوعي أو دون وعي ـ استخدام المبادىء القديمة ، وأعطوا للتراث التقليدي لعلم الكلام طابعاً جديداً . فعندما يقرأ المرء (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده فإنه يحصل على انطباع واضح بأن الشيخ محمد عبده قد كان يفكر من حيث المبدأ تفكيراً اعتزالياً في قضايا جوهرية أكثر مما فعل كل أولئك العلماء الذين كانوا يمثلون بمرور الوقت علم الكلام الإسلامي بالمعنى الأشعري . وليس الأمر هو أن المدرسة الأشعرية كانت ترفض استخدام المبادىء العقلية ، بل الأمر يتعلق هنا بمعنى التحرر بصفة مستمرة من الصيغ التقليدية إذا ما كان الأمر يتعلق بحل مشكلات جديدة .

ول تكن العودة إلى التفكير على نمط المبادىء المعتزلية الثابتة ـ في حقيقة الأمر ـ شيئاً جديداً حدث ابتداءً في القرون الأخيرة داخل الاتجاه السني في الإسلام . فالإمام المالكي الكبير وهو الإمام الشاطبي (توفي عام ٧٩٠ هـ) قد اختار أهم المبادىء الاعتزالية وجعلها أساساً لكتابه الرئيسي (الموافقات) . وفي ذلك يقول :

(ولنقدم قبل الشروع في المطلوب (مقدمة كلامية) مسلمة في هذا الموضع : وهي أن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً ، وهذه دعوى لا بد من إقامة البرهان عليها صحة أو فساداً . وليس هذا موضع ذلك . وقد وقع الخلاف فيها في علم الكلام ، وزعم الرازي أن أحكام الله ليست معللة بعلة ألبتة ، كما أن أفعاله كذلك ، وأن المعتزلة اتفقت على أن أحكامه تعالى معللة برعاية مصالح العباد ، وأنه